المحاضرة العاشرة: المنهج البنوي

محاور المحاضرة:

1/ تعريف المنهج البنوي التربوي:

2/ / منهجية حدوث التعليم وفق المنهج البنوي:

3/ خصائص التعلم وفق المنهج البنوي:

4/ دور المتعلم في المنهج البنوي

تقديم المحاضرة

1/ تعريف المنهج البنوي التربوي

يعرف المنهج البنيوي في التعليم على أنه مقاربة تعليمية ولغوية حديثة، يقوم على فكرة أنّ المعرفة بنية مترابطة العناصر، وأنّ التعلم الفعّال يتحقق حين يدرك المتعلم العلاقات الداخلية التي تنظم هذه البنية، لا مجرد حفظ جزئيات منفصلة. فهو قد تأسس على أفكار فرديناند دي سوسير، وتعتمد على تحليل المعارف (خاصة اللغة والأدب) كبنية أو نظام متكامل ومستقل، حيث يتم دراسة العلاقات الداخلية بين العناصر بدلاً من العوامل الخارجية، بهدف إكساب المتعلم أنماطاً لغوية وهيكلية دقيقة عبر التمارين والمحاكاة.

فالمنهج البنوي يعمل على تنظيم المحتوى التعليمي في صورة أنساق وعلاقات، بحيث يركز التعليم على فهم البنية الداخلية للمعرفة، وقواعدها المنظمة، بدلا من التركيز على المعلومات الجزئية المعزولة.

2/ منهجية حدوث التعليم وفق المنهج البنوي:

تؤكد النماذج المعرفية الحديثة حول التفكير والتعلّمُ (نماذج معالجة المعلومات) على أن العقل لا يتعلّم بطريقة سلبية من خلال تسجيل المعلومات وحفظها، بل إيجابًا بواسطة محاولات

ناشطة لجعل ما يتعلّمه الفرد من معلومات ذات معنى بالنسبة له. ويطلعنا النموذج البنائي المذكور على أن هذا النوع من التعلّم يحوّل المتعلّمين إلى ناشطين فعليين من طريق بناء ارتباطات وعلاقات داخلية أوعلائقية بين الأفكار والوقائع التي يتعلّمونها، بالإضافة إلى بناء ارتباطات خارجية بين المعلومات الجديدة من جهة والمعلومات السابقة المكتسبة من جهة أخرى.

وتركز هذه المقاربة للتعلّم على الدور الناشط للمعلّم. فالبنائية هي إذًا، مصطلح يستخدمه علماء النفس المعرفيون لتوضيح هذه المقاربة في التعلّم. وقد تطور مفهوم البنائية خلال العقود المنصرمة ليصبح اشمل وأوسع فيتحول من مجرد مصطلح لنظرية في التعلّم، إلى الارتباط بنظرية للمعرفة تشير إلى أن العالم معقّد، وليس هناك من حقيقة موضوعية ثابتة، وبأن أكثر ما نتعلّمه يُبنى فعليّاً من خلال معتقداتنا وتصوراتنا ومن خلال البيئة الاجتماعية التي نحيا فيها.

وهذا ما أشار إليه أحد البنائيين، (ارنست فون غلاسرفيلد Ernest Von Glaserfeld) في نظرته إلى فلسفة المعرفة فقال" :منذ القدم، وفي القرن الخامس للميلاد، أكد الفلاسفة وجود صعوبة منطقية لإثبات حقيقة ما في ميادين المعرفة، وأشاروا إلى أن المقارنة الضرورية بين المعرفة عن الشيء وحقيقتة الواقعية لا يمكن إجراؤها، لأن الإجراء العقلي (العملية العقلية) حول الحقيقة الواقعية للشيء تتم من خلال عمل معرفي آخر. وقد أسند هؤلاء المشكِّكون هذا الجدل إلى حيرة الفلاسفة الذين تصدّوا لهذه المشكلة .وعلى أي حال، فإنهم لم يتخطوا المفهوم التقليدي للمعرفة...(ينظر: Radical Constructivism ; A Way of knowing and learning 1995)

وهنا تظهر البنائية التي اتبعت خطوات البراغماتية الأميركية وعددًا من المفكرين الأوروبيين في نهاية هذا القرن على أنها محاولة لمخالفة هذا التقليد المتّبع وكسره. فهي تشير إلى وجود خطأ ما في المفهوم التقليدي للمعرفة، وتقترح تغييره بدلاً من الاستمرار في نزاع

فكري لا جدوى منه للوصول إلى حل لهذه الجدلية المتعارضة. وهذا التغير يستند إلى: Glaserfeld 1995 P.6-7 في عباراته الشهيرة: "**أوقفوا البحث عن المتطلبات التي تجعل من المعرفة عالمًا مستقلاً، واعترفوا بأن المعرفة تمثل قيمة بالنسبة إلينا، خصوصًا في ما نعمله في عالمنا الواقعي، وفي الطرق الناجحة التي نتعامل بها مع الأشياء المادية، وفي التفكير بالمفاهيم المجرّدة**".

إضافة إلى هذا الربط مع نظرية فلسفية في وجود المعرفة، فإن البنائية أصبحت مرتبطة بتيار تربوي رائد أعاد المتعلمين إلى واجهة العملية التعليمية/التعلمية. ويهدف هذا التيار إلى إقالة الممارسة التربوية بحيث تصبح الدروس مخطّطَة ومتدرّجِة لتشجيع التلامذة على استخدام خبراتهم بغية تحقيق فهم بنائي ناشط من خلال جعل ما يتعلمونه ذات معنى بالنسبة إليهم. وقد توصل التيار البنائي في التربية إلى تحقيق إصلاحات عديدة في المناهج التربوية وفي تعليم القراءة والكتابة والرياضيات والدراسات الاجتماعية والعلوم...(Duit 95, Saxe 95, Spivey 95) وسنتعرض للبنائية هنا كنتيجة لأبحاث علماء النفس المعرفيين باعتبارها تحرّكِ المتعلمين في المجالات الآتية: في الأعمال والإجراءات المساعدة على بناء ارتباطات داخلية، في مجال تنظيم المعلومات في الذاكرة النشطة، لتصبح مفهومة وذات معنى، وفي مساهمتها في بناء ارتباطات بين المعلومات الجديدة والأخرى المكتسبة.

والبنائية، من هذا المنظور، هي تطبيق مبادئ التعلّم في الصف والتي استخرجت من النماذج المعرفية (cognitive models) التي تؤمّنِ للمتعلّمين فرصة بناء طرائق وأساليب خاصة بهم للحصول على المعرفة.

3/ خصائص التعلم وفق المنهج البنوي

من الممارسات البنائية التعليمية سواء أكانت في مجالات العلوم أم الدراسات الاجتماعية أم الرياضيات أم القراءة والكتابة فإنها تتصف بالمميزات المشتركة الآتية :

1. تنظم التعلّمُ والتعليم حول أفكار أو محاور كبيرة مهمة.
2. تشدّد على أهمية المعرفة السابقة المكتسبة وارتباطها في اكتساب المعرفة الجديدة.
3. تتحدى صحة وملاءمة المعلومات الأولية المكتسبة للمتعلّمين.
4. تشكل مجالاً للشك وعدم اليقين.
5. تعلّم المتعلمين كيف يتعلّمون.
6. تنظر إلى التعلّمُ كمغامرة معرفية تعاونية.
7. تسهّل تقّييم تحصيل المتعلّم خلال الدرس.

4/ دور المتعلم في المنهج البنوي

- **مكتشف البنية**: حيث يبحث في العلاقات المنظمة بين المفاهيم (تضاد، ترادف، تعارض، تدرج)، حيث إنّه يكتشف أنّ قيمة العنصر تتحدد بموقعه داخل النسق، لا بمعنى منعزلا عن سياقه.
- **محلل أنساق**: يحلل الظواهر إلى مكوناتها ثم يعيد تركيبها ، كما أنه يستخرج القواعد الضمنية التي تحكم النظام (قواعد نحوية، أنماط سردية، حقول دلالية ...الخ).
- **مستنتج للقواعد** : إذ يصبح قادرا على أن يستنبط القاعدة انطلاقا من الأمثلة من خلال تقنيتي الملاحظة والمقارنة.
- **منظم للمعرفة**: يكون المتعلم في هذه المرحلة قادرا على إعادة ترتيب المعطيات في خرائط أو شبكات مفاهيمية، أي أن يعيد توظيف تلك المعارف بقالبه الخاص في موقف تعلمي جديد يستدعي تواشج البنية المعرفية القديمة مع البنية المعرفية الجديدة.